الدكتور حسان أحمد قمحية ـ سورية

نور الهدى

لَـمَّا طَـغَـتْ فِي مَـكَّـةٍ ظَلْماؤُها
وطَفَتْ على أُمِّ القُرَى أَدْوَاؤُهـا

وَجَـدَ المُـبَـشَّرُ فِي حِـراءٍ أُنْـسَـهُ
والنَّفْسُ يَزْهُو بالسُّكُونِ صَفاؤُها

مُـتـأمِّـلاً كَـبِـدَ الـسَّـماءِ بِمُـهْـجَـةٍ
يَحْلُو لهُ عِنْدَ الـغُـرُوبِ بَهاؤُها

فِي خَـلْـوَةٍ راقَـتْ لكلِّ مُـوَحِّـدٍ
فحَنَتْ عَلَيْهِ أَرْضُـهـا وسَماؤُها

هَيَّا اعْـتَـزِلْ فِي مَوْضِعٍ تَـرْضَى بِه
سُبُلُ الهُدَى قَدْ أَشْرَقَتْ أَضْوَاؤُها

يَـوْمٌ أَتَى رَسَـمَ الطَّريقَ لغايةٍ
فِي شِرْعَـةِ الإِسْـلامِ حـانَ جَلاؤُها

اللَّيْلُ يَطْوِي فِي الظَّلامِ مُـرادَهُ
وصَبِيحَةٌ مِثْلُ النُّجُومِ ضِيَاؤُها

جِـبرِيـلُ جـاءَ مُـحـمَّـدًا برسالةٍ
سَطَعتْ بها أُمُّ القُرى وفَضَاؤُها

وتَتابَعُ الـنُّـورُ الـذي أَذنَـتْ به
كفَسيلةٍ لَـفَّـتْ بها أَشْـطـاؤُهـا

اقْــرَأْ.. أَتَيْتُكَ من مَليكٍ خالقٍ
فَطرَ البَسِيطةَ فاسْتطابَ بَقاؤُهَا

اقْــرَأْ.. أَعــادَ نــداءَهُ مُتَتابِعًا
إنَّ الـخَـلـيـقـةَ لَـلإلـه بِـنـاؤُهـا

من نُطْفةٍ وبُوَيْضَةٍ بَـرأَ الـوَرَى
ولَقيحَةٍ فِي الرَّحمِ صارَ غِذاؤُها

اقْــرَأْ.. فـرَبُّـكَ مُنْجزٌ وَعْــدًا لَهُ
يُـزْكِي النُّفوسَ فيَرْتَقي أَبْناؤُها

خَــوْفٌ يَـلـفُّ مُـحـمَّـدًا في غـارِه
والنَّفْسُ في كَنَفِ الرَّحِيم وِقاؤُها

عــادَ الـنَّـبـيُّ لـبَـيْـتِـه مُتَوجِّسًا
وخَديجةٌ من حَـوْلـه ورَجـاؤُهـا

أَنْ يَهْدَأَ الـرَّوْعُ الذي في خَلْدِه
هَــذي الحَياةُ كَـثـيرةٌ أَعْـبَـاؤُهـا

حتَّى إذا هَـدَأَ الحَبيبُ وأَيْنَعَتْ
آيــاتُ قُــرْآنٍ وزادَ نَمَـاؤُهـا

خَـرَجَ النَّبيُّ بأَهْلِ مَكَّةَ داعيًا
فتَجَهَّمتْ وتَـنـكَّـبَـتْ كُـبَراؤُهـا

وتَهلَّلتْ رُوحُ الضِّعاف لدَعْوة
فكأنَّها شَـمْـسٌ بَـدَا لأَلاؤُهــا

إنِّي رَســولُ الله جِـئْـتُ مُـبـشِّرًا
أَجْـلِي الحَقيقةَ إنْ تَعكَّر مَاؤُها

لا فَـرْقَ بـينَ كَبيرِكُم وصَغيرِكُمْ
هَذي الشَّريعةُ أُعْلِنَتْ أَنْباؤُها

قَـدْ آمـنَ الجَمْعُ الـذي أَحْبَبْتَهُ
والنَّبْتةُ الـخَـضْراء زادَ لِحَاؤُها

ســارَتْ رِكــابُ مُحمَّد مَكْلوءَةً
باللُّطْفِ ما ضرَّتْ بِها أَعْداؤُها

في كـلِّ خـافـقـة تـأجَّـجَ نـورُهـا
فجَلا بـهِ إصْباحُها ومَـسـاؤُهـا

وأَبَى أَبُــو لَـهَـبٍ تَقبَّحَ وَجْـهُـهُ
أَرْدَتْ بـه أَلْـفـاظُـهُ وجَـفَـاؤُهـا

آذَى الـنـبـيَّ بـقَـوْلـهِ وبـزَوْجـهِ
فالنَّارُ في يَـوم القِيامِ جَـزاؤُهـا

اصْـبِر رَسُـولَ الله.. أَنْـتَ بعَيْننا
وَقُطُوفُ صَـبْرِكَ عِنْدَنا خَضْراؤُها

سيَسُودُ ديـنُ الله أَرْضَ عبادهِ
حَتَّى يُعَمَّرَ بالطُّيُوبِ كِسَاؤُهَا

تَمْـشي الحَرائرُ لا تَخافُ مَلامَةً
فِي دِيـنِ مَـوْلاهـا يُـصَـانُ خِباؤُها

وكُـنُـوزُ كـسْرى أَصْبحَتْ لسُراقَةٍ
وَعْـداً لـه.. بِـرُّ الـوُعُـودِ وَفاؤُها

كَـثُرَ الأذَى بصَحابةٍ ونَبيِّهِمْ
في مَـكَّـةٍ وبَـغَـى بِهاً طُلَقاؤُها

فـأَوَى الصَّحابَةُ للرَّسولِ بِمِحْنةٍ
فاضَتْ عَلَيْهِمْ بالعَنا بَلْوَاؤُها

أَذِنَ الـرَّسـولُ بـهـجـرةٍ لِمَدينة
صـارَتْ مُـنـوَّرةً فَـطـابَ لِقاؤُها

وَصَـلَ النبيُّ لـيَـثْرِب فتَهلَّلتْ
أَطْـفـالُـها ورِجـالُـهـا ونِـسَـاؤُهـا

آخَـى بـيَـثْرِبَ بَـيْنَ كـلِّ مُهاجِرٍ
ونَصِيرِه فسَمَتْ بِهِم بَطْحاؤُها

وبَنَى بـأَرْضِ قُباءَ أَوَّلَ مَسْجِدٍ
فتَعَطرَّتْ مَـنْ طَيبِه أَجْـوَاؤُهـا

ثمَّ ابْتَنى في أَرْضِ طَيْبَةَ مَسْجِدًا
فمَشَى على دَرْبِ الهُدَى أَبْناؤُها

هُـمْ نـاصَروا ديـنَ الإلـه بقَلْبهمْ
إنَّ المَحبَّةَ في القُلوبِ بَقاؤُها

خَـرَجَ النَّبيُّ بـيَـوْم بَـدْرٍ طالبًا
حَقًّا .. فمَا رَدَّ الحُقُوقَ بُكَاؤُها

وقَـضَى الإلـهُ بـأَنْ تَكونَ وَقيعةً
ولِـواءُ ربِّ الـعـالـمـينَ لِـواؤُهـا

فتَوثَّبَ الـنَّـصْر العَظيمُ لفتْيةٍ
حَفِظُوا الشَّريعَةَ فانْزَوَى أَعْداؤُها

والفَوْزُ كانَ حَليفَهُمْ يَوْمَ الْتَقَوْا
في وَقْـعَـةِ الأَحْــزابِ شُـجَّ إِباؤُها

الـحَـرْبُ تَـأْتِي في الختامِ برايَةٍ
خَـفَّـاقـةٍ يَـزْهُـو بِـهـا أُمَـراؤُهــا

يَبْقَى الـسَّـلامُ مُـرادَ كـلِّ مُسدَّدٍ
أمَّا الحُروبُ ففي الأَنـامِ بَلاؤُها

في فَـتْـحِ مَـكَّـةَ لاحَ نَـصْرٌ عَـارِمٌ
أُمُّ الـقُـرَى مُـزْدانَـةٌ أَرْجـاؤُهـا

قَـدْ جـاءَ نَـصْرُ الله فَتْحًا عابِقًا
والـنَّـاسُ في دِيـنِ السَّلامِ نِداؤُها

وتَـزيَّـنـتْ أَكْـنـافُ مَـكـةَ كُلُّها
بِمُـحـمَّـدٍ وتَـبـاركَـتْ أَنْـحَـاؤُهـا

هـذا كـتـابُ الله أَنْـجَـزَ وَعْـدَهُ
فتَبسَّمَتْ أَرْضُ الهُدَى وهَواؤُها

في سُنَّةِ الَـهـادي تَطيبُ مَراتِعٌ
ويَطِيبُ فِيها صَيْفُها وشِتاؤُها

الشِّعْرُ في مَـدْحِ النَّبيِّ غَمَامةٌ
بالوَابِلِ المَسْكُوبِ سَحَّ عَطاؤُها

فاكتُبْ لَنا ربَّ الـبريِّـة شَرْبـةً
مِنْ كفِّ أَحْمدَ بالجِنَانِ رُواؤُهـا

واطـرَحْ بلُطْفٍ منكَ سلْمًا وارفًا
حتَّى يُمَـكـنَ في الـرِّيـاضِ بَهاؤُها

بـلِّـغْ صَــلاتي للحَبيبِ مُحمَّد
ما أَشْرَقَــتْ في طَيْبةٍ بَطْحاؤُها

الدكتور حسان أحمد قمحية - سورية